



## نظرات في تاريخ السياسة التعليمية بالمغرب



د. إدريس الكتاني

رئيس نادي الفكر الاسلامي

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد أشرف المخلوقين وعلى آله وصحبه أجمعين . إخواني أخواتي : كم أنا سعيد بالمضور معكم في هذا اللقاء الذي نظمته مجلة النداء التربوي ، والذي عاد بي أربعين سنة الى الوراء . لقد كنت في وزارة التعليم أستاذا بالجامعة ، ساربت مشكلة التعليم من أولها وبصفة خاصة من 1960 الى يومنا هذا . كتبت مئات الصفحات والعديد من الأبحاث والدراسات عن مشكل وجوهر التعليم . فعاذا حدث في سياسة التعليم بالمغرب ولماذا وكيف ؟ الحقيقة أنه لأول مرة أجد موضوعا هاما وخطيرا يطرح علينا في الندوات التعليمية يتعلق بـ « أهداف التربية وحاجات مجتمع الغد » . أهداف التربية هو عنصر وأساس ما يعانيه المغرب في سياسة التعليم . لا يخفى عليكم أن كل دولة في العالم تحترم نفسها ، تسهر وتخطط وتضع برامج للتعليم ومناهجها ، طبق حضارتها وديانها وتاريخها ، وفلسفتها سواء كانت يسارية أو يمينية . أول ما يطرح على الدولة المسؤولة وعلى وزارة التعليم بالخصوص هو تحديد سياسة التعليم وغايات التعليم وأهداف التعليم ، الأهداف التي يطمح المسؤولون الى تحقيقها من خلال تكوين أجيال الغد ، طبق حاجاتهم ومتطلباتهم . كانت مشكلة الأهداف والسياسة التعليمية أول مشكل طرح على المغرب في أول الاستقلال . علينا أن نعرف ونقارن بين سياسة التعليم في عهد الاستقلال المغربي الذي استمر 12 قرنا ، والسياسة الاستعمارية التي طبقت مدة 44 سنة ، وسياسة التعليم في عهد الاستقلال الحديث .

كثت عضوا فاعلا في أول مرحلة الجواب على الإشكالية المطروحة وبعد أن الاستقلال الحديث بل وفي مرحلة غادرتنا الاجتماع دخلت إلى وزارة التربية الحماية. لقد شاركت في بناء وتأسيس المدارس الحرة في عهد الحماية ، وأسست ثالث مدرسة عربية حرة إسلامية في أواخر عهد الحماية سميت "معهد المولى إدريس الأزهر". في سنة 1960 بدأنا نكتشف أسرار السياسة الإستعمارية التي وضعت يدها على وزارة التعليم بعد الاستقلال مباشرة لتخطط وتوجه في وقت كان وزراء التعليم انفسهم لا يعرفون حقيقة ما يجري في وزاراتهم. في سنة 1960 حدثت حادثة أقصها عليكم لأنني عشتها في بداية المعركة ، وأعرف انكم لن تقرؤوها في كتاب ولا مجلة، في هذه السنة صرح وزير التعليم آنذاك اليكسـتور يوسف بلعباس أن الوزارة بدأت في تطبيق تعميم التعليم ، فدخلت الى المدرسة 300 ألف تلميذ كل سنة من السنوات 59 - 60 - 61 . فقال له رئيس الإتحاد الوطني لطلبة المغرب آنذاك ( محمد لخصاصي) إذا أخذنا الإحصائيات السابقة طبق ما ذكرت فسنتكشف ضياع وفقدان 500 ألف تلميذ أين هي ؟ لم يستطع الوزير

الجواب على الإشكالية المطروحة وبعد أن غادرتنا الاجتماع دخلت إلى وزارة التربية الوطنية وطلبت من القسم المختص لوائح التلاميذ المكررين والمطرودين (منذ ذلك الوقت إلى الآن كل تلميذ كسر مرتين يطرد سواء في المرحلة الابتدائية أو الإعدادية أو الثانوية) فوجدت أن الوزير لم يكذب بأن أدخل كل سنة 300 ألف تلميذ ولكنني وجدت أن 170 ألف تلميذ يطربون ويفصلون ، و العدد المتبقي فقط هو 130 ألف تلميذ. 170 ألف تلميذ يطرد ويفصل في ذلك الوقت في كل سنة .

#### 1 - بداية الانحراف

ما سبب ذلك يا ترى ؟ إنه التكرار أو التثليث. وما سبب التكرار والتثليث ؟ ما سبب السقوط وعدم الاستيعاب ؟ ما سبب فشل السياسة التعليمية ؟ كتبت آنذاك مقالتين في مجلة اللسان العربي التي كانت تصدرها الجامعة العربية وشرحت فيهما أن سياسة التعليم في المغرب قائمة على أسس فاسدة، لأنني بحثت في نسب التسرب والهدر في العديد من الأنظمة ، سواء في الشرق الأوسط أو في الغرب ، فلم أجد هذه

النسبة الهائلة من تكرار التلاميذ ، القوميات واللغات كسويسرا أو الانفصال والانقطاع. لا شك أن هناك تشكوسلوفاكيا أو غيرهما فالتلاميذ يدرسون باللغة القومية للبلاد مثلا جنيف الفرنسية وبارن الألمانية مع انهما دولة واحدة وذلك لأن التلميذ يجب ان يتابع تعليمه ببسر وسهولة من الابتدائي حتى الجامعة بنفس اللغة. هذه هي المشكلة التي تختبط فيها والتي ابتدأت المعركة بسببها منذ 1969 حول سياسة التعليم .

2 - جناية ازدواجية على سياسة التعليم

كانت السياسة الإستعمارية تعمل على أساس فرنسة الشعب ، تكوين نخبة من أبناء الأعيان من أجل ان يكونوا أعوانا للإدارة الفرنسية لا يتجاوز تعليمهم مستوى البكالوريا (خلال 44 سنة المتخرجون من أبناء الأعيان نوا الامكانيات السفر ولتحضير الطب والمحاماة معنولون ومحدودون جدا) ، فالهدف السياسي كان هو تكوين التراجمة والمساعدين للحكام الفرنسيين . لم يكن لديهم هدف غير هذا ، كان تعليم اللغة والدين لا يتجاوز مدته 20 دقيقة والباقي بالفرنسية . بل كنا ننتظر حتى الساعة الخامسة مساء لما تنتهي لغة واحدة ، نعم اذا كانت الدولة متعددة

من أين جاءت هذه الإزدواجية ؟ انها جاءت من الفكر الاستعماري الفرنسي، منذ عهد الحماية وفرنسا كانت تعلم انها ستخرج يوما من المغرب وتونس، على أساس أنهما حمايتان بخلاف الجزائر التي كانت تعتبرها مقاطعة فرنسية، فلما أحست فرنسا بالحركة الوطنية في المغرب تنقوى شيئا فشيئا فرضت الازدواجية وطبقتها في كل شيء فأصبح الاوربيون شركاء للمغاربة في كل شيء، أنشأت فرنسا المجلس الوطني مزدوجا من فرنسيين ومغاربة ، الحكومة مزدوجة من فرنسيين ومغاربة، المجالس البلدية من فرنسيين ومغاربة ولما جاء الاستقلال فرضت الازدواجية في اللغة، فنظام ازدواجية اللغة في التعليم لا يوجد له نظير في العالم إطلاقا ، حتى في النظام الانتكوساكسوني، في أوروبا قاطبة، لغة التعليم من مرحلة الابتدائي الى الجامعة لغة واحدة ، نعم اذا كانت الدولة متعددة

الدراسة ويصيب التلاميذ العياء بأنهم (شفوية أو كتابية) وتحدد المعاملات المدير الفرنسي بالذهاب إلى المسجد، والأهداف.

وما هو إلا قاعة مهلة في آخر المدرسة 3 - أهمية المعاملات في لتعليم القرآن والدين واللغة العربية. كان التلاميذ يهربون في أطراف الحديقة ولا يبقى من 500 تلميذ سوى 30 أو 40 منهم لذلك كانت الإستجابة للمدارس الحرة قوية وكان رد فعل الشعب المغربي شويا بعد تأسيس هذه المدارس. حيث تبين للوطنيين أن فرنسا تريد أن تؤسس جيلا مفرنسا غريبا عن اللغة والثقافة والدين. وبدأ الوطنيون يفتحون المدارس في كل مكان: الزوايا، المساجد... وكان فيها أساتذة من الوطنيين والعلماء يقدمون دروسا مهمة في العلوم الإسلامية واللغة وتاريخ المغرب، فجاء الاستقلال والوضع على ما هو عليه. وكنت عضوا فاعلا في وزارة التعليم والجامعة، أمثل رابطة علماء المغرب وجانب كبير من رجال الحركة الوطنية وأمثلة المقدرة التربوية المتخصصة في شؤون التربية وعلم الاجتماع التربوي ذلك كنت أعرف أن هناك سياسة استعمارية تحدد المواد الدراسية وطبيعتها في الامتحانات

الدراسة ويصيب التلاميذ العياء بأنهم (شفوية أو كتابية) وتحدد المعاملات المدير الفرنسي بالذهاب إلى المسجد، والأهداف.

وما هو إلا قاعة مهلة في آخر المدرسة 3 - أهمية المعاملات في لتعليم القرآن والدين واللغة العربية. كان التلاميذ يهربون في أطراف الحديقة ولا يبقى من 500 تلميذ سوى 30 أو 40 منهم لذلك كانت الإستجابة للمدارس الحرة قوية وكان رد فعل الشعب المغربي شويا بعد تأسيس هذه المدارس. حيث تبين للوطنيين أن فرنسا تريد أن تؤسس جيلا مفرنسا غريبا عن اللغة والثقافة والدين. وبدأ الوطنيون يفتحون المدارس في كل مكان: الزوايا، المساجد... وكان فيها أساتذة من الوطنيين والعلماء يقدمون دروسا مهمة في العلوم الإسلامية واللغة وتاريخ المغرب، فجاء الاستقلال والوضع على ما هو عليه. وكنت عضوا فاعلا في وزارة التعليم والجامعة، أمثل رابطة علماء المغرب وجانب كبير من رجال الحركة الوطنية وأمثلة المقدرة التربوية المتخصصة في شؤون التربية وعلم الاجتماع التربوي ذلك كنت أعرف أن هناك سياسة استعمارية تحدد المواد الدراسية وطبيعتها في الامتحانات

البعثة الفرنسية فوجدت ان المعامل عندهم في التعليم الفرنسي لا يتجاوز 4 في اللغة الفرنسية و الفلسفة. الهدف منه عندهم هو مضاعفة أرقام النجاح بحيث لا يتنجح التلميذ الا اذا كان ناجحا في اللغة الفرنسية و الفلسفة و بهذا السبب يتضاعف المعامل عندنا 3 أو 4 مرات . بطبيعة الحال هذا أسلوب مأساوي استعماري يعمم على الجميع و لا أحد يعرف لماذا ؟ عملت دراسة و تنبعت فوجدت أنه لهذا السبب سقط التلميذ في البكالوريا العربية و نجح في البكالوريا الفرنسية ، إن الهدف من رفع المعامل هو تقوية المواد التي تريد الوزارة تقويتها . وفي عهد الاستقلال بقيت مادتا الفلسفة و الفرنسية هما ما يهم الوزارة ، مادة الفلسفة التي تميل لإعلان حرب على المواد الإسلامية ، مع العلم أن هذه الفلسفة هي الفلسفة الماركسية و التلميذ الذي لم يستطع النجاح في البكالوريا الفرنسية التي جعلت لها كتب الفلسفة مزينة بصور ماركس و لينين و البلشفيين والثورة و الجماهير في بلد مسلم الذي هو المغرب ! لقد أستغريت عندما وجدت ان نسبة نجاح التلاميذ تقل كلما ارتفع

المعامل ( في الفرنسية و الفلسفة ) فابن هم المفتشون و الوزراء و المدراء ؟ من يضع هذه المخططات ؟

اكتشفت أنها حكومة الظل و لا شك هي البعثة الثقافية الفرنسية. يأتي وزير التعليم و قد يكون طبييا او مهندسا او عميدا في كلية العلوم ، لا خبرة له بمشاكل التعليم ، يأتي لتقديم مشروع اصلاح التعليم و هو في الأصل من البعثة الفرنسية، يأتي و يلقي خطابا ويعود الى حال سبيله ، فمن يهيء له كل شيء ؟ إنها البعثة الفرنسية التي تخطط و تدرس و تصمم و تراعي ظروف المغرب بل و تعين الموظفين السامين و ساقول الدليل على ذلك : لما جاء الوزير د. عز الدين العراقي قلت له إن المعامل وصل الى 9 فقال وأنا أريده ان يصل الى 10 في الرياضيات.

4 - تحديد أهداف وطنية للتعليم ببلادنا لا يزال مطلباً ملحا

تحديد أهداف سياسة التعليم في دول العالم التي تحترم نفسها لا بد و أن يتطابق مع تاريخ الدولة و حضارتها و ثقافتها و رغبة المسؤولين عن الحالة التي يجب ان تكون عليها الاجيال مستقبلا.

هذا هو المطلوب عندنا في المغرب، وقد كان هناك إجماع من الشعب المغربي : العلماء وممثلو الأحزاب، والاقتصاد الوطني للطلبة، وجمعيات الآباء والأولياء، على أنه يجب إعادة النظر في سياسة التعليم لتتطابق مع هذا الاستقلال، لكن بعد الاستقلال لا تغيير ولا تبديل. الازدواجية هي الازدواجية فرنسة الشعب المغربي هي فرنسته دائما، فبدأ الصراع حيث فشل العلماء وفشلت الأحزاب وفشل الاتحاد الوطني للطلبة، بذلنا كل الامكانيات عبثا. لقد كانت أهداف التعليم وسياسة التعليم مطروحة على كل وزارة، وكل مناقرة وكل سياسة تعليمية، وهذا منذ السنوات الأولى للاستقلال. و بقيت مطروحة في الستينات والسبعينات والثمانينات، لا شك انكم تعلمون ما حدث عندما قدمت الحكومة مشروع تعريب القضاء والعدل للبرلمان، كان هناك تلقائية وشبه إجماع، فصوصق على تعريب القضاء والعدل، وكانت هذه صدمة قوية للسياسة الاستعمارية ولأذنانها، وعندما طرح مشكل تعريب التعليم وقدم في مناسبات عديدة من طرف حزب الاستقلال والكثيرين من العلماء

والمفكرين، اعترضت الحكومة واتخذت الاجراءات المختلفة وعارض رئيس الغرفة الدستورية بدعوى أن هذا من اختصاص السلطة التنفيذية، وهكذا منع البرلمان من أن تعرض عليه سياسة التعليم أو تعريب التعليم من ذلك الوقت حتى الآن. وأنتم تعلمون أن المجلس الأعلى للتعليم انعقد اول و آخر مرة سنة 1961، وفي السنين الاخيرة طالبت الصحف الأحزاب وبإعادة عقد اجتماع هذا المجلس فلماذا ألغي هذا المجلس؟ لأن هذا المجلس سنة 61 عارضه العلماء والأحزاب والمنظمات الثقافية بشبه إجماع لان سياسة التعليم في رأي العلماء والمنظمات والأحزاب يجب أن تقوم على أساس تعريب التعليم والمبادئ التي أقرتها اللجان الوطنية المختصة واللجنة الملكية للتعليم. وفي سنة 1964 عقدت المناظرة الوطنية حول التعليم في غابة المعمورة واستدعي لها 400 شخصية: ممثلو الأحزاب والجمعيات والبرلمان وكل الفعاليات فماذا حدث؟ وأنا سعيد لأنني أخاطب نخبة من رجال التعليم والمفكرين والمسؤولين عن المناهج، سعيد لأطرح هذا السؤال من جديد ماذا حدث في تلك المناظرة؟ في

تلك الساعة كان الاتحاد الاشتراكي وحزب الاستقلال ضد عقد المناظرة بحجة أن هناك برلمانا فلماذا تعقد مناظرة على هامش البرلمان ؟ الجواب هو أنه كان يراد استخراج وثيقة للتعليم ، تتحدث عن سياسة التعليم نعم ، ولكن تنص على أن لغة العلوم هي اللغة الفرنسية لتبقى اللغة العربية لغة الدين والثقافة والادب. كان هذا هو المقصود والذي بسببه والى يومنا هذا لا توجد وثيقة ولو واحدة بوزارة التعليم تنص على ماهية سياسة التعليم ! أو تحدد أهداف التعليم ... لا توجد إطلاقا وهذا هو التحدي الذي كنا نعرف أننا سنصير الى نهايته يوما ما. اشتغلت بوزارة التعليم مديرا لمعهد العلوم الاجتماعية، و أستاذا بالجامعة وحضرت لتحضير المناظرة إضافة لرؤساء الجامعة والعمداء وكبار موظفي وزارة التربية الوطنية وقد وجدتهم كانوا عشر لجان : لجنة التعليم الابتدائي ، لجنة التعليم الثانوي، لجنة التعليم الاصيل، لجنة التعليم التقني ... قلت لهم هذه عشر لجان واللجنة الهامة لم تشكلوها قال لي ممثل الوزير كيف هذا ؟ قلت له إذا أردت بناء مدرسة هل ستحضر البناء والحداد

والتجار لتقول لهم اشتغلوا ؟ يجب التصميم أولا على أي أساس سوف يكون البناء ؟ قلت له يجب تخصيص لجنة للسياسة العامة للتعليم وهذه هي الأساس . أيديني في ذلك عمداء الكليات ومجلس الجامعة وتقررت لجنة السياسة العامة للتعليم لأنه على أي أساس هذه اللجان العشر تعمل وتشغل ؟ فرضنا هذه اللجنة واتصلت بالمنظمات كلها، و طلبت منهم أن يضموا الى هذه اللجنة أحسن الأعضاء لديهم خبرة بالتعليم فدخلنا آنذاك على وزير التعليم وكان منطقيا، وقال للجان العشرة الاولى : انطلقوا انتم حتى تنتهي لجنة سياسة التعليم من اشغالها وتحدد الاهداف وتعرضها على الجمع العام، لتعرف كل لجنة بعد ذلك على ما تسير عليه ، اقول لكم ما جرى باختصار، دخلنا في معركة مع طائفة من المرتزقة أعوان وزير التعليم آنذاك، فانتخبنا رئيس اللجنة والمقرر العام ، فكان الرئيس رجلا فاضلا هو عبد الكريم بن جلون وانتخبت مقررا عاما فيدانا نشغل فحشوشوا علينا وقررنا الانسحاب لولا ان وزير التعليم منعنا من ذلك و امرهم بالسكوت وفي المساء كونا

لجنة صغرى حددنا من خلالها أهداف وسياسة التعليم الخصصها لكم لأنه مع الأسف رجال التعليم والطلبة لا وقت لديهم لتنمية ثقافتهم ومعارفهم ! الخصص لكم أهداف التعليم التي أصدرناها آنذاك بالاجماع وقدمناها للوزير ، الذي عقد لقاء عاما لـ 400 عضو حيث جلس وزير التعليم السابق محمد الفاسي ووزير التعليم آنذاك . وتدخل من بين الحاضرين 57 واحدا من بينهم شخص واحد أمني يمثل جمعية آباء وأولياء التلاميذ قال : أنا أوافق على سياسة الحكومة وكنت أنا المقرر العام، أرد على المتدخلين والمستفسرين وكنت أقول لوزير التعليم وقد تأسس آنذاك حزب الجبهة كنت أقول له : كل هؤلاء يؤمنون بسياسة التعليم لانهم مخلصون وغيرورون وطيبون فوقع المصادقة على سياسة التعليم بالاجماع في هذه المناظرة .

الخصص لكم هذا البيان في سطر ونصف لأنه كان لب الصراع : « لغة التعليم في جميع مراحل التعليم الابتدائي والثانوي والعالي هي العربية ولا يشرع في تعليم اللغات الاجنبية كلفات الا ابتداءا من التعليم الثانوي» اي ان

تدريس العلوم والتقنيات يجب ان يكون باللغة العربية و اللغات الاجنبية تُدرس كلفات وليس كلفة التعليم ، بعض المشاركة لا يفهمون العمق من الازواجية أن التلميذ المغربي يفرض عليه بحسب السياسة الاستعمارية منذ القسم التحضيري الازواجية ذلك أن استاذ اللغة الفرنسية يدخل في الصباح ليعلمه الحروف الابجدية اللاتينية d,c, b,a من اليسار الى اليمين وفي الزوال يأتي استاذ العربية ليعلمه الابجدية العربية من اليمين الى اليسار، أصبحت الازواجية في الكتابة، في الموظفين، في آلات الكتابة... ميزانية ضخمة تصرف. العربية والفرنسية في كل شيء، والقريب أن تشكل الازواجية اعترف به وزير التربية الوطنية الاسبق د. عز الدين العراقي ، اعترف أن الأبحاث التي قامت بها الوزارة دلت على أن الازواجية هي سبب تخر التلاميذ وسقوطهم وتعثرهم في الدراسة وهذا أيضا ثبت في العديد من البلدان الاخرى كالأردن مثلاً. ولأن التلميذ الذي يدرس العلوم بلغته يستوعبها في وقت اقصر مما يستوعبها فيه باللغة الاجنبية .



في سنة 1961 نظمت وزارة التربية الوطنية ندوة دولية بمناسبة مرور 11 قرنا على تأسيس جامعة القرويين أقدم جامعة في العالم . استدعي لها آنذاك جميع جامعات العالم ، حضر من حضر وغاب من غاب ، وكان يترأس الاحتفالات والمهرجانات بفاس محمد الخامس لقد أردت أن ألقى نظرة بكم على سجل تلك الندوة لأن أغليكم لم يره . استوقفني كلام جميل قاله نائب مدير اليونسكو قاله عن التعليم في المغرب والجامعي بصفة خاصة أنقل لكم ما قاله ، قال : « إنه من النادر في العالم أن يوجد اندماج بين الجامعة والمجتمع ، بين الجامعة وسكان المدينة وهذا شكل من أشكال حضارة الدولة هذا شكل اكتشافناه ووجدناه في جامعة القرويين » ، لقد عرف كيف يندمج التلاميذ مع معلمهم سواء في الكتاب القرآني أو التعليم الابتدائي أو الثانوي أو حتى الجامعي لقد أعطى نظرة تكون ادعى الي ملاحظة الأشياء التي لا يلاحظها المواطن (لأنه أجنبي) ولليونسكو اساتذة وخبراء ، لقد رجع بنا و دعفنا أن تلقى نظرة على أهداف التعليم خلال 12 قرنا من الاستقلال الأصلي

والآن القي عليكم سؤالا لا يطرحه الا باحث اجتماعي متمكن من التاريخ السؤال الذي طرحته ولا زالت أطرحه : كيف حدث في تاريخ العالم أن دولة كالمغرب ، استطاعت أن تحافظ على سيادتها واستقلالها السياسي 12 قرنا يموازاة مع دولة الخلافة ؟ عاشت مع دول الخلافة ولم تخضع لها حافظت على مبادئ الاسلام بالرغم من التطورات التي عرفتها الدولة العباسية و الدولة العثمانية وسقطتا في وقت واحد بفارق 12 سنة دخلت الحماية الى المغرب سنة 1912 وسقطت الدولة العثمانية سنة 1923 ورغم الصروب الصليبية التي واجهتها الدول العربية و الاسلامية في القرون الخمسة الاخيرة لم يتم التوغل الا في بعض الشواطىء على البحر الأبيض او البحر المحيط كيف حدث هذا ؟ ما هي الاسباب التاريخية و الاجتماعية و الدينية التي اعطت للمغرب هذه الميزة في العالم كله ؟ السؤال الثاني : لماذا اقدمت فرنسا عام 1830 على احتلال الجزائر و بعد حوالي 50 سنة وصلت لتونس ، و بعد حوالي 50 سنة أخرى وصلت للمغرب ؟ فهل هذا بمحض الصدفة ؟ أم هذا يدل

على أن المغرب دولة عظيمة لها هيبتها ولها تاريخ في نظر أوروبا والغرب ودول الاستعمار وخصوصاً فرنسا ليس من السهل أن تبقى فرنسا 100 سنة وهي تدرس وتخطط وتبعث الجواسيس في القبائل والمدن المغربية سواحها وأطباء ومساعدين، 100 سنة وهي تدرس كيف يمكنها أن تهاجم المغرب والمغرب في غفلة - أريد أن أقول لكم إن أهداف

السياسة التربوية الإسلامية في المغرب خلال 12 قرناً هي التي حققت للعالم الإسلامي والمغرب على الخصوص هذه النتائج وضمنت له كل هذا الاستقلال وخاصة ما يتعلق بجامعة القرويين لكن ماذا كان هدف السياسة الإسلامية التربوية المغربية ؟

الهدف الرئيسي : تكوين العقل الإسلامي، وليس العقل العربي، ليس العقل التركي، ليس العقل الأمازيغي، ليس العقل الفارسي، العقل الإسلامي، وما هو الفرق بين العقل الإسلامي والعقل القومي ؟ إنكم إذا أدركتم ما أدركته بعد 40 سنة من الدراسة سوف يفتح فؤادكم وتكون ما يجري في العالم والعالم الإسلامي والعربي بصفة خاصة لقد

تخصصت في دراسة أسباب سقوط العالم الإسلامي وقد اشرت اليها في كتابي أسباب سقوط العالم العربي والأسباب هنا ليست سياسية وإنما الأسباب الدينية والإسلامية، لأن جميع النظريات الإيديولوجية في الحداثة والتلقي والتطور كلها ماتت وانتهت وكجار فلاسفة العالم الآن يقولون على أن العالم يعيش عصر ما بعد الحداثة .

العقل الإسلامي هو الذي أنقذ العرب من العصر الجاهلي وادخلهم إلى العقل الإسلامي بتفكيره وعقيدته ومزاياه وأحث في هذه المناسبة الأساتذة الباحثين الذين يريدون تحضير رسائلهم ودراساتهم العليا وأبحاثهم الجامعية على المزيد من البحث والتقصي في أهداف التربية وتأثيراتها وأسبابها وكل ما يتعلق بها، ممركتان في تاريخ الإسلام غيرتنا مجرى التاريخ ولم يكن وراءهما إلا العقل الإسلامي : معركة الزلاقة والحروب الصليبية، فالأولى بطلها السلطان يوسف بن تاشفين ضد ملك أسبانيا الفونس السادس، انتصار يوسف بن تاشفين وهزيمة الأسبان استمر تأثيرهما على المغرب والاستعمار

700 سنة بقي الوجود الإسلامي بإسبانيا 4 قرون وثلاثة قرون من بعده جاء الاستعمار الى المغرب. السلطان يوسف بن تاشفين لم يكن عربيا كان بربريا أمازيغيا مخلصا لدينه وبلاده و الحروب الصليبية كان بطلها السلطان صلاح الدين الايوبي الذي كان كريما من تكريت. عندما يعجز العرب ويتخلفون اسلاميا ياتي المسلمون غير العرب بمقدرتهم الاسلامية بعقلهم الاسلامي بتفكيرهم الاسلامي فينتصرون ولذلك فان المعركة اليوم هي بين العقل الاسلامي والعقل القائم على اساس التبعية للغرب . ورجال التعليم و اساتذة التعليم هم خير من يتفطن و يدرس هذه الامور والوقائع، ويستنتق التاريخ ، هذه مهمة رجال التعليم . لان برامج التعليم بالمغرب مسخت بالسياسة الاستعمارية ومادة التاريخ —زقت وقسمت و أدمج التاريخ العربي و التاريخ الإسلامي في التاريخ العام الذي قسم التاريخ الى التاريخ القديم و التاريخ الوسيط و التاريخ الحديث، لم تعد المدارس تلقن ابناءنا تاريخنا و لا تاريخ العرب و لا تاريخ الاسلام و هذه مأساة

كبرى و قد تنبه جلالة الملك في بعض المناسبات و قال بان الشعب لم يعد يعرف تاريخه فعليه ان يقرأ التاريخ و يدرس التاريخ و برامج التاريخ الاستعمارية استمرت من أول الاستقلال حتى اليوم ، فما زال التلاميذ يدرسون و يقرأون تاريخ فرنسا و تاريخ الكنيسة الفرنسية الكاثوليكية و يأخذ منهم هذا أكثر من شهر . إنها السياسة الاستعمارية إذن. كل هذا سبب عدم تصديق أهداف السياسة الوطنية التربوية و التعليمية الذي لا زلنا نعاني منه الى اليوم لقد استقرت داء وزير التعليم الذي دعا الى تخصص و مراجعة البرامج و المناهج إعادة النظر فيها ، شي جميل هذا نعم و لكن افسحوا المجال لمثقي الشعب الحقيقيين و لرجال التعليم لصياغة و مناقشة سياسة و أهداف التعليم ، والحمد لله لا زال بوزارة التعليم رجال مخلصون أصدروا رأيهم و عبروا عن رأيهم وقالوا إن سياسة التعليم القائمة كلها فشلت و أن سياسة الترتيق و الترميم لم تعد تجدي نفعا . ولذلك يجب إعادة النظر فيها . لدي وثيقة بيان مثقفي المغرب

الموقعة سنة 1970 (1) من طرف 500 شخصية من بينهم غلال الفاسي و محمد حسن الوزاني والمكي الناصري. وشخصيات من أقصى اليسار الشيوعي إلى أقصى اليمين وأعضاء مجلس الجامعة ولقد طبعت أسماء هؤلاء ال 500 شهادة للتاريخ وقدمت لها بكلام ذلك الاستعماري الذي قام بفتخر بأن السياسة الإستعمارية الفرنسية نشرت لغته في العالم ، وفي أقطار المغرب ، ولا يشبه هذا الكلام إلا كلام وزير التعليم الذي قال : (ولدي النص) بأنه كان يتكلم الفرنسية 350 ألف مغربي في أول الاستقلال ، والآن (1982) وصلوا إلى 3 ملايين ونصف ، وفي آخر القرن سيصبح المغرب في طليعة الدول الناطقة بالفرنسية، إن السياسة الاستعمارية ليست سياسة خفية على أي أحد ، هم يعرفون ويصرحون بها ، ولكنها بلغت القمة في احتقار المغرب واحتقار الشعب المغربي ، ذلك أن يأتي وزير التعليم الفرنسي ويقدم لوزير التعليم المغربي مشروع إدخال برامج البكالوريا الفرنسية بنصها وفصلها بوزارة التعليم المغربية على أساس يرتامج : المساك المزبوجة .

#### و السلام عليكم

(1) جاء في ذلك البيان : « يواجه المغرب منذ حصوله على الاستقلال سنة 1956 ، وبصفة خاصة منذ عشرين ستوات ، ضغطا استعماريا خفيا يرمي لإقرار وتثبيت وتعميم الوجود اللغوي الفرنسي في المغرب المستقل ، وإعطاء هذا الوجود - الذي فرضته الحماية الفرنسية في عهدها - صفة الشرعية والاستمرار لا في الإدارة المغربية ، والمصالح العمومية فقط ، ولكن في ميدان التعليم وتكوين الأطر المغربية أيضا . وبالرغم من المعركة التي خاضتها المؤسسات العلمية والثقافية والنقابية

واقتصاديا : لأن نسبة النجاح المذكورة لا تعادل الخمسين مليارا التي تتفق في التعليم ، والتي يؤدي منها ثلاثة وعشرون مليارا للأساتذة الأجانب الذين يخرجون ثلث هذا المبلغ من البلاد بالعملة الصعبة .

وقوميا : لأنها جعلت التعليم الثانوي تحت رحمة وتوجيه الأساتذة الأجانب، وأدت الى تدمير وترسيخ اللغة الأجنبية في الإدارة المغربية فحلت عتيا وأساسيا محل اللغة الوطنية لغة القرآن ، وعملت على تشويه لغة التخاطب لدى الأجيال المتعلمة التي أصبحت تتكلم بلغة مختلطة مجينة ، لا هي عربية خالصة ولا فرنسية خالصة .

ودينيا : لأنها أضعفت القيم الخلقية والروحية لدى هذه الأجيال وأتجهت الى القضاء على التعليم الإسلامي العربي الحر . لذلك كله ، ولكون الشعب المغربي لا يريد بعد تحرره واستقلاله أن يظل مربوطا بعجلة أية دولة أجنبية ، وبطل فكره القومي محتكرا لغتها ، وإنما يريد أن يستوعب الحضارة الإنسانية العالمية بمختلف لغتها وعن طريق التبادل الثقافي

والأحزاب الوطنية في المغرب بعد الاستقلال ، وخاصة منذ المظاهرة التاريخية التي نظمها حول التعليم بمركز معمورة سنة 1964 ، تلك المعركة التي كانت تهدف الى تحويل المؤسسة التعليمية الفرنسية التي خلفتها الحماية ، الى مؤسسة وطنية عربية اللغة ، مغربية الروح والشخصية والأطر ، فقد بات بالفشل كل تلك الجهود ، وبقيت المبادئ التي أجمعت عليها الأمة في سياسة التعليم وهي تعريب التعليم ، ومغربية أطره وتعميمه ، حبرا على ورق ، وزفرض المسؤولون كل التصميمات التي وضعها الخبراء المغاربة لتحقيق التعريب ومغربية أطره ، وكانت النتيجة التي انتهت اليها سياسة ازبواجية لغة التعليم ، وإعطاء حصة الأسد للغة الأجنبية ، بعد 14 عاما من تجربتها ، هي إعلان فشلها :

وتربويا : لأن نسبة الذين يتهنون بمقتضاها دراستهم الثانوية يقلون عن 2 % ، ولأنها لم تحقق تكوين الأطر المنتظرة منها للبلاد لا باللغة العربية ولا باللغة الأجنبية ، ولأنها أدت الى انخفاض مستوى التعليم في اللغتين معا .

كيان جامعة القرويين .

ثانياً : أن ينكروا بأن التعريب الكامل العام في التعليم والإدارة والعمل والشارع ، هو مطلب قومي أجمعت عليه الأمة منذ الاستقلال وهو لا يتعارض بحال من الأحوال ، مع دراسة اللغات الأجنبية الحية كلفات ولا يتناقض مع رغبتنا جميعاً في التفتح على حضارة القرن العشرين ، وإنما يؤكد فقط رغبة الشعب المغربي في المحافظة على مقومات شخصيته الوطنية . ومن المعلوم أنه لا يمكن لهذه الشخصية أن تنمو وتزدهر إلا في إطار اللغة القومية ، ولا يمكن للتعليم أن يصبح شعبياً وديمقراطياً ومزدهراً إلا باللغة القومية .

ثالثاً : أن ينبهوا إلى التجني الذي يرتكب في حق اللغة العربية عندما يراد ربطها بالوضع الذي يوجد عليه العالم العربي اليوم ، والنقص الذي يلاحظ في المصطلحات العلمية الحديثة مع أنه لا ينكر أحد أن اللغة العربية كانت هي اللغة العالمية الوحيدة في العصور الإسلامية الزاهرة ، وأن تخلفها اليوم في ميدان المصطلحات الحديثة لا يرجع لعجزها

والعلمي والصناعي دون أن يتخلى قيد أنملة عن اللغة العربية ، كلفة رسمية حية ، في التعليم والإدارة والعمل اليومي ، فإن علماء المغرب ومشقيقيه ورجال الفكر والإصلاح فيه يرون من واجبهم القومي والديني بمناسبة الحوار المفتوح حول سياسة التعليم ومستقبله في المغرب .

أولاً : أن يجددوا نصيحهم وتحذيرهم من أخطار السياسة القائنة حتى الآن في مجال التعليم ، والتي لم تحقق غير المزيد من قرصة الأجيال المغربية الناشئة ، وقرصة لغة التخاطب المغربية وترسيخ قرصة الإدارة والمصالح العمومية والخصوصية بالمغرب المستقل ومن شأن هذه الأخطار ، إذا لم يوضع لها حد عاجل أن تهدد وحدة وكيان ومستقبل الشعب المغربي ، وأن تعرقل تقدمه وازدهاره وأمنه الفكري ، وأخطر من ذلك اتجاه عزم المسؤولين اليوم إلى قرصة التعليم الابتدائي من جديد بدل تعريب التعليم الثانوي ، وأن يقع الرجوع باللغة العربية القهقري ، أي إلى ما كانت عليه في عهد الحماية الفرنسية مع أن الشعب المغربي آنذاك قاوم هذه السياسة بتقوية جهاز المدارس العربية الصرة ، وتدعيم

هي ، بل لجمود المجتمعات العربية التي عليها أن تقوم بسد هذا النقص في الميدان اللغوي ، في نفس الوقت الذي تعمل فيه على سد نقصها في الميادين العلمية و الصناعية ، ذلك أن اللغة العربية ككل اللغات الحية ، لا يمكن أن تتطور وتتقدم بمعزل عن الحياة والعلم والمجتمع وإبعادها عن أن تكون لغة التعليم والإدارة والعمل ، هي الطريق المفضية بها إلى الموت البطيء ، لا إلى الحياة الخالدة .

رابعاً : أن يؤكدوا أنه لا حل لمشاكل التعليم المستعصية إلا بوضع المبادئ التي أجمعت عليها الأمة وهي تعريب التعليم في جميع المراحل وعلى جميع

المستويات ، ومغربية أطره ، وتعميمه ، موضع التنفيذ المخلص السريع ، حسب « ميثاق للتعليم » ، وطبق « تصميم » محدد ، يساهم في وضعهما ، ويصادق عليهما الممثلون الحقيقيون للمؤسسات الوطنية كلها ، على أن يكونا جاهزين للتطبيق ابتداءً من أكتوبر 1970 المقبل ، وأن يكونا مصحوبين بسياسة وتصميم سواز لتعريب الأجهزة والمصالح الإدارية المغربية كلها . ويون ذلك سنواجه المزيد من الأخطار ، والمزيد من المشاكل التي لا حل لها ، وليست في صالح أحد في هذه البلاد .

### المراسلات

توجه المراسلات

باسم رئيس التحرير إلى العنوان التالي :  
مستودع البريد رقم : 1019 وجدة الرياض